قياس الوعي البيئي لدى المصمّمين نحو المواد المستخدمة لحاويات النفايات

دراسة تطبيقية على حاويات مدينة سوسة باعتماد سيميوطيقا التوتر

Measuring designers' environmental awareness towards design materials in waste containers

An applied study on containers in the city of Sousse, based on the semiotics of tension

د/ إيمان الصّكلي

دكتورة في علوم وتكنولوجيّات التّصميم، جامعة منّوبة، تونس، ستاذة بالمعهد العالي للفنون والحرف بالمهديّة، جامعة المنستير، تونس،
imenimen.sakly@gmail.com

ملخص البحث Abstract:

لقد أردنا لهذا الدّراسة أن تكون بحثا فعّالا في القضايا الحضريّة العالقة، والتي قد تكون قضايا من أنواع البديهيات أو التّعميمات في تصوّر المصمّم الخبير ببيئته الحضريّة التونسيّة وتحديدا "مدينة سوسة كمثال". وإنّ هذه القضايا هي من قبيل التلوّث البيئي الذي يتلازم ضرورة مع سلوكيّات الكائن المجتمعي وكيفيّاته الخاصة في التفاعل ونقصد هنا طبيعة الممارسات الاجتماعيّة التونسيّة ذات الخصوصيات المتعددة وفق ما تعكسه تسنيناته الثقافية والقيميّة. من هذا المنطلق، آثرنا على أنفسنا أن ننبّش في هذه المسائل التي قد تبدوا بديهيّة لنبحث فيها ونرى حقيقتها من العمق. وتتعلّق معالجة هذه القضايا العميقة الرّاهنة بواقع ممارسات مصمّم "أثاث الشّارع" ومناهجه التصميميّة، والتي ترتهن فيما نرى في بعض تفاصيلها بمبدأ تطبيق بعض المناهج العلميّة. ولعلّ من أبرزها المنهج السّيميوطيقي الإمبريقي (التّجريبي) الذي أسّس لمبادئه "جاك فونتاني"و"كلود زلباربارج"، هذا المنهج الذي يمكن تطبيقه على مجال بعينه يحدّده المصمّم الباحث، ويعتدّ من خلاله على قاعدة بيانات أصيلة نابعة من البيئة الحضريّة وخصوصياتها. ويرتكز هذا المنهج في دراستنا على الحقيقة العلميّة الرياضيّة وما أفرزته لنا من نتائج ملموسة لحلّ المسائل المتعلّقة بتصميم حاويات النّفايات الموجّهة إلى الفضاءات الحضريّة.

كلمات دالة Keywords:

مواد التّصميم
Design Materials
حاويات النّفايات
Waste Containers
القياس
Measuring
مدينة سوسة
City of Sousse
الوعى البيئى
Environmental Awareness,

Paper received 19th September 2021, Accepted 29th November 2021, Published 1st of January 2022

مقدمة Introduction

يثير أثاث مدينة سوسة التّونسيّة العديد من التساؤلات حوله من النواحي؛ السابستيمولوجية المعرفية، السيميائية (التفسير/التأويل والهرمونوطيقا)، وأيضا من الناحية الممارساتيّة أي البراجماتية (التداولية أو الذرائعية). وقد شكّلت هذه الأسئلة المتعدّدة لتداخلها عائقا أمام إدراك الرسالة التصميمية لدى المستعمل هذا من ناحية، ولدى المصمّم ذاته من ناحية أخرى ويعود ذلك إلى عدم وجود رؤية صناعيّة واضحة عن هويّة تصميم الأثاث في علاقته بالمدينة، وقد ساهم ذلك في استفحال الأخطاء وتعميقها، هذا إلى جانب عدم وجود تكوين مناسب يجمع بين التصميم وآخر في نفس الفضاء.

على هذا الأساس، تقبع أزمة إبستيمولوجيّة، أركيولوجيّة مهنيّة في المؤسّسات، تتجاوز الأزمة الأكاديميّة تبرز على مستوى الأنظمة الشكلية لمركّب الأثاث، اللاّمستقلّة عن الأنساق الإدراكيّة والحركيّة في الفضاء الحيّ. فيبدو أنّ هناك حالة من التلوّث البصري خاصّة إذا ما ارتبط الأمر بالتّشكيل الفراغي الحضري. علما بأن الذي يُعطي معنًى للإخراج السّياقي هو التّشكيل، والتكوين، أو**التّركيب (composition)**، يحتاج ذلك، إلى البحث عن تناغم وتآلف الخصائص إدراكيّا، كما يتطلّب ذلك الانتقال من دراسة موقع التصميم الواحد إلى دراسة جميع التّصاميم نسبة إلى مجاورتها أي في العلاقات المركّبة بين عناصر الأثاث في سياقها.

بناء على ما تقدّم يستدعي بحثنا في أثاث المُدن تفكيرا جذريّا في الآليّات والمناهج القديمة المتّبعة في التصميم، ويحتاج ذلك إلى وضع الأثاث الوافد من العالم الغربي موضع نقد، وقياس، وبرهنة، واستدلال. وعليه، ينبغي أن نضع محلّ تساؤل تصاميم الأثاث ذات الأطرزة الألمانيّة لحاويات المهملات والنّفايات « **Rheinwerk**» المُستقدمة من العالم الغربي، وذات الولاء لعلامات تجاريّة مُعولمة.

مشكلة البحث Statement of the Problem

يسلّط المقال الضّوء على الفضاءات العامّة السّاحليّة بمدينة سوسة التّونسيّة، وقد اقتضى المقال اكتشاف ثغرات هذه الفضاءات، وفحص نقائصها بماهي فضاءات هجينة تتراوح بين ماهو وافد وماهو رافد، وأيضا تتأرجح بين ماهو أصيل(أثيل) وماهو دخيل. ولا يتوقّف الأمر عند هذا الحدّ فمن خلال المعاينة الميدانية للفضاء الحضري التّونسي تبين لنا أن هناك أزمة تلوّث حضريّة خانقة، ويعود ذلك إلى رداءة وابتذال تصاميم الحاويات الحضريّة. وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا التلوّث ليس تلوّثا بيئيا فقط، بل هو كذلك تلوّث بصريّ، فالمواد المستخدمة في التّصميم كان لها أثر سلبيّ على الجوّ العامّ للفضاءات وخصوصيّاتها.

أسئلة الدّراسة:

إنّ جميع تصاميم حاويات نفايات مدينة سوسة (وهي أحد أهمّ المدن السّاحليّة التّونسيّة) هي تصاميم وافدة. ومن هذا المنطلق تُثار جملة من الأسئلة نصوغها كالآتي؛ هل يتناغم **تكوين(composition)** مجموعة تصاميم الحاويات للنّفايات المستوردة مع تصاميم بقيّة وحدات الأثاث المحليّة الصّنع (بواسطة السّبائك الحديديّة) في فضاءات مدينة سوسة؟ وما هي تداعيات هذا الاقتباس والدّمج على المشهد الحضري وقيمته الاستعماليّة والجماليّة بمدينة سوسة؟ وماهي القراءات السّيميائيّة المتعلّقة بتصميم حاويات مدينة سوسة في سياقها الحضري والممارسات التي يمكن له أن يتيحها للكائن الاجتماعي؟ وإذا ما قمنا بإعادة النّظر في المعنى العامّ للخصوصيّة السّيميائيّة التي يثيرها الأثاث المعولم، هل يمكن أن نحال على أزمة وعي يعيشها المصمّم؟ وماهي الحلول الممكنة لتجاوزها؟

أهمية البحث Significance

تنبع أهميّة هذه الدّراسة من كونها تبحث في صلب القضايا الحضريّة اليوميّة المتعلّقة بالتلوّث، كما تعتبر هذه الدّراسة مهمّة لأنّها تلقي الضّوء على بعض المفاهيم والمناهج النظريّة والتّطبيقيّة التي تقدّم حلولا واقعيّة فعّالة.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

أهداف البحث Objectives

تهدف هذه الدّراسة إلى:

- إنشاء قاعدة بيانات منطقيّة، مرتبطة بنموذج البيانات المفاهيمية المبنيّة على سيميوطيقا التوتّر حتّى يتسنّى إلى المؤسّسات الصناعيّة اعتمادها لقياس وعي المصمّم وضبط مخرجاته التّصميميّة ومنهجتها.
- دراسة وعي المصمّم تجاه المادّة التّصميميّة كونه بمثابة الحبل السرّي الذي يتغذى عليه التّصميم الحضري.
- إعادة ميزان النّظر في فكر ووعي وحدود المصمّم الصّناعي والذي إليه يعود أصل التّصميم، وبدئه، ومنبعه.

إجراءات وأدوات الدّراسة Procedure & Tools:

ارتكزنا في تحليلنا هذا على المنهج التطبيقي "الإمبريقي" المرتكز على سيميوطيقا التوتّر.

مصادر البيانات:

أ- المصادر الميدانيّة: وهي المصادر التي استقيناها من خلال معاينتنا الميدانيّة (الوقائع الإدراكيّة للمدوّنة في الفضاء الحيّ المباشر)، ومن العيّنة باستعمال الاستمارة. وتتكوّن مجموع الأفراد من المصمّمين الصناعيين.

وقد توسّلنا في خضم تحليلنا هذا بأدوات المصمّم وأساليبه الما-قبل العمليّة التّصميميّة، وقد جررنا مع هذا التّحليل بخيوطه القصديّة مقوّمات تصنيع المواد التي وضّفت ميدانيّا، كما استخرجنا كنه دلالاتها السيميوطيقيّة فتأرجحنا بين بحث نظري وآخر تطبيقي، إمّا بهدف التأييد أو بهدف النّقد أو بهدف الخروج بنتائج ملموسة تنبع من خصوصيّة مدوّنتنا للبحث والمتمثّلة في "الحاويات للنّفايا. فإذن استعانا في إنجاز هذه الدّراسة الميدانيّة بنماذج من علم السّيميوطيقا وقمنا بتطبيقها على المصمّمين التّونسيين بوصفهم أيضا متلقّين ومستعملين في الفضاء الحضري التّونسي.

ب- المصادر الرسميّة: استندنا على المصادر التي قدّمتها لنا هيئات محليّة حكوميّة، وهي تتعلّق بالمدوّنة قيد الدّراسة.

الدراسات السابقة Previous Studies:

في مجلّة "الدّراسات والبحوث الاجتماعيّة" درس الباحثان "فريد بوبيش" و"بلال بوترعة" مسألة التدهور البيئي في علاقته بالإنسان كمسبّب رئيسي في استفحال الأزمة الحضريّة، وقد تنزّل المقال تحت عنوان "تلوّث البيئة الحضرية والصحة مقاربة سوسيولوجيّة". في حين تناول الأستاذ "علاوة بولحواش" مدينة عنّابة الجزائريّة كمدوّنة بحث للعمل الميداني ولتقصّي "مصادر التلوث في الوسط الحضري" وقد بيّن في محاضرته المنشورة تداعيات التركّز السّكاني والأنشطة البشريّة اليوميّة والصناعيّة وآثر مخلّفات الإنسان من نفايات على إلحاق الأضرار بالمدينة.

وقد اختار الطّالبان شهرزاد عبابسي وطه سيد البحث في "واقع التلوّث البيئي في الوسط الحضري" بمدينة الوادي الجزائريّة النّاتج حسب دراستهما عن النّفايات المنزليّة، وقد بحثا في مذكّرتهما أثر هذا التلوّث على جماليّة الفضاء الحضري وفي علاقة هذا الفضاء بمجاوراته، وقد اعتمادا في ذلك على عيّنة البحث وعلى الاستبيان.

المبحث الأول: تصميم الحاويات البلاستيكية واشكالية المسائل البيئية وعلاقتها ببراجماتية السيميوطيقا

بالمدينة المركزيّة سوسة، قد تبدو للوهلة الأولى حاويات النّفايا أنّها استثنائيّة أو مقنعة بصريّا إذا ما نظرنا إلى صيغها أو خصائصها اللّونيّة منفردة، إلاّ أنّها غير ذلك فهي متشابهة ومتقاربة إلى حدّ بعيد تشكيليّا وتضمينيّا بالرّغم من أنّ علاماتها التّجاريّة مختلفة. فمن السّهل أن نشعر بغرابتها ونشازها عن بقيّة العناصر التي جمعت معها سواء منها تلك العناصر التي تنتمي إلى الطّرز الباريسيّة أو تلك التي أضيفت إلى وحدات أثاث شارع الهادي شاكر ببوجعفر (يقع شاطئ بوجعفر وسط مدينة سوسة ويوجد قبالته مقام أبي جعفر الأربسي وساحة المدن التي تشهد عدّة فقرات تنشيطيّة لإحياء المدينة. ويمكن الوصول إلى بوجعفر عبر مختلف الأنهج المتفرعة عن الشارع الرئيسي (شارع الحبيب بورقيبة) أو من جهة الطريق السياحية شمالا، وتتوفر بمحيط الشاطئ كل المرافق من محلات تجارية ومقاه وغيرها.)،(أُنظر الصّور أدناه)

فإذا ما تأمّلنا مليّا، سنجد أنّ حاويات النّفايا صمّمت من نفس المواد "البلاستيكيّة". أعادت هذه المواد تشكيل القيم والقواعد التي تنظّم أغلب العوالم الاجتماعيّة التّونسيّة على نمط يحاكي العوالم الغربيّة (أمريكا، أستراليا، أوروبا) التي تُغلّب القيم الاستهلاكيّة العابرة والتي لا تدوم.

صورة (1) توضّح التّلاعب بالألوان لتظهر الحاوية البلاستيكيّة وكأنّها منتمية إلى الأثاث ذا الطّراز الباريسي

فقد صار العالم سياقا استهلاكيّا واحدا، وذلك منذ أن بادر الأمريكي-البلجيكي الكيميائي ليو بيكلاند للعالم عام 1907م باختراع مادّة مقاومة للاحتراق وسهلة التّشكيل بخلط كميات مقدرة من كلٍ من الفورمالدهيد والفينول المستخرج من النفط وتعريض هذا الخليط لدرجات حرارة وضغط عالية، قدّم الاختراع على هيئة لدائن عُرفت باسم الباكيليت نسبة فكان اللبنة الأولى للصناعات البلاستيكية في العالم. بعد الحرب العالميّة الثّانية، أثارت هذه المادّة الزّهيدة الثّمن اهتمام العلماء والصناعيين، وحفّزتهم لاكتشاف مشتقات أخرى أكثر نجاعة.

وتشير تقديرات أنّ السّوق العالميّة لمادّة البلاستيك ستقدّر مع حلول سنة 2020 إلى ما يفوق 600 مليار دولار.

عندما ما يؤوّل المصمّم العلاقة التي تربط الوظيفيّة بالعالم على أنّها علامات دالّة على اختلالات نتيجة لأعطاب أو اتلافات تستلزم إصلاحا وتلفيقا عندها أيضا تعمّق النّزعة المركزية للإنسان على حساب النّزعة الطبيعيّة. بيد أنّ إيجاد حلّ جذريّ للخروج من قيد الفهم الزّائف للوظيفيّة واقترانها بالعالم، والقاضي بالاجتهاد على نحو أفضل من الآن فصاعدا لتفادي التشوّهات البيئيّة النّاجمة عن التدخّلات الإنسانيّة الماضية المضرّة بالعالم المحيط وأثارها عليه، يحتّم الجرأة على الاستغلال الوظيفي للبيئة ذاتها من خلال تصميم حاويات من مواد طبيعيّة، أو تصميم حاويات وسلال المهملات تتجه نحو الإيكولوجيا الأصيلة. يحتاج ذلك إلى العزم والاستعداد للكفّ الفوري والعاجل عن التدخّلات التي تضرّ بالبيئة بمقاطعة المواد المصنّعة السّامّة، وعدم السّقوط في الهاوية ونعني بذلك عدم الاستسلام للوضعيّات الاستهلاكية الفانية الرّاهنة التي تشتت الإدراك الوجودي الواعي للإنسان.

ولهذه الأسباب، كان توجّهنا السّيميوطيقي مبنيّا على أساس براجماتي، سعينا من خلاله إلى توفير مجموعة من السّمات والالتزامات الخاصّة لتصميم الحاويات والتي يستطيع بواسطتها المرسل التّأثير بها على المستعملين وإقناعهم بإنجاز الفعل.

ومن خلال استطلاع ميداني لآراء المصمّمين الصّناعيين الذي أظهرته لنا نتائج الاستبيان حول قيمة المواد المستعملة في تصميم الحاويات وأهميّتها في تحفيز فعل النّظافة بالمدينة، استنتجنا من

خلال النّسب التي حصُلنا عليها تأييدا كبيرا من أجل توظيف مواد أخرى أنجع بيئيّا. يتطلّب هذا التأييد توضيحا تخطيطيّا، سنجسّده تباعا في خطاطة المبيان التوتّري بالكيفيّة الآتية: وزّعت المواد المقترحة للتّصميم (أو للاستيراد حسب الإجراءات المعمول بها في البلديّة زاوية سوسة) على المحور المعرفين حيث اقترحت ثلاثة مواد مختلفة على محور الأفاصيل، في حين أنّ مستوى الشدّة جسّد المحور الإدراكي المرتبط ضرورة بقيمة الفعل والإنجاز والذي تفاوت قوّة وضعفا.

وعن علاقة التّصميم المؤثّر بالممارسة الفعليّة لفعل النّظافة يضاهي أثر حاوية واحدة كلّ خمسة أمتار وجود ثلاثة حاوية بلاستيكيّة كلّ خمس مرّات على مستوى الممارسة، ولعلّي كنت شاهدة من خلال زياراتي الميدانيّة لبلديّة زاوية سوسة على النّقص المعرفي الذي يعاني منه موضّفوا البلديّة وعدم فهمهم لطبيعة العلاقة بين قيمة التّصميم وقيمة النّظافة كإدراك محفّز للفعل.

ولذلك كان ارتكازنا في هذه الدّراسة على التّأثير على الجهات المسؤولة من اجل نشر الوعي بالاستثمار في هذا الحقل والتّشجيع على الإنفاق على المواد التي ستستخدم في تصميم وحدة التأثيثيّة: الحاوية للنّفايات، وذلك بهدف للتأثير على سلوك المستعمل بطرق مغايرة مبتكرة عمادها المادّة ونفوذها البصري.

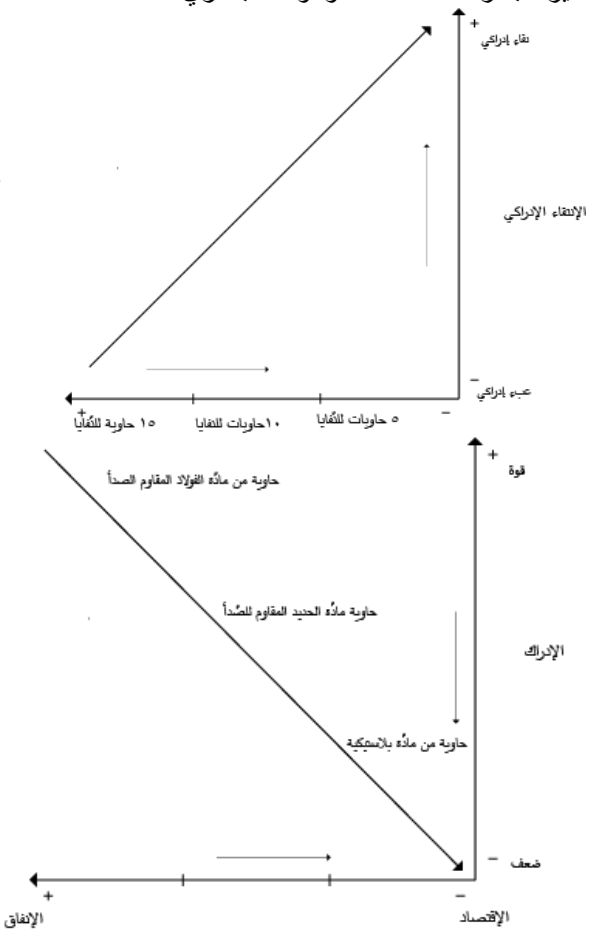

خطاطة توتّريّة توضّح الفوارق بين المواد المستعملة في تصميم حاويات النّفايات للمدينة سوسة في نظر المصمّم للتّوعية رجال الأعمال بأهميّة الإنفاق على التصميم

تسمّى هذه الخطاطة الموضحة للاختلافات بين المواد المصنّعة وأثرها في تصميم حاويات النّفايات خطاطة مخفّفة هابطة (اعتمدنا في ضبط إحداثيّاتها على السّؤالين 63 و64 من استبيان بحثنا)، ونظام علامتها من نواحي التّرابط المباشر، ويتّجه التوتّر فيها على المحور نحو الانخفاض، والمحور المعرفي يتّجه بالمثل نحو الانخفاض بالاستناد إلى المادّة البلاستيكيّة، وهكذا نرى أنّ تعزيز الإنفاق يتوازى مع فكرة المادّة الجيّدة ونبلها، على النّقيض من ذلك يبرز الاقتصاد في المواد كعامل مخفّض لقيمة الإدراك الحسّي والعاطفي والذهني.

من هذه الزاوية، نحن ننشد من خلال هذه المناقشة فتح المجال أمام الوظيفية الذّاتيّة "اللاّمركزيّة" (الثلاثيّة: إيمان واع ومعرفي) بدل إعلاء مكانة الوظيفيّة الذاتيّة المركزيّة الثلاثيّة (يقين مطلق سيادي) وادعاءاتها. يختلف هذا الفتح اختلافا أساسيّا بين التّصميم الدّاعم للوثوقيّة "الدّغمائيّة" العلميّة والثّقة العمياء في فوقيّة (سيادة) نتاجاتها، وبين التّصميم الذي يحثّ على التّخمين في الطّبيعة وما وراء الوظيفيّة (الوظيفيّة الماقبل موضوعيّة) ذات المنحى الإيكولوجي. أي بين علم التّصميم واعتباره وسيلة ومجرّد أداة للإنتاجيّة وبين تصميم العلم واعتباره غاية ومنهجا يسموان إلى توحيد كيان الكون. في هذا السّياق يقول هيراقليط وهو أحد أوائل عظماء تاريخ الفلسفة، عن الطّبيعة، بأنها تنزع إلى أن تختفي. من هذا المنبر تدعوا الفلسفة الهيديجيرية **"إلى أن يتخلّى الإنسان عن الادعاء بأنّه يمثّل مركز العالم، وأن يتعلّم، بدل ذلك، كيف يندرج في الدّورات الإيكولوجيّة للطّبيعة وكيف يخضع لها. فليس الإنسان هو الذي ينبغي أن يسود، بل الطّبيعة. هكذا نجد أنفسنا أمام نزعة طبيعيّة تعارض نزعة مركزيّة الإنسان".**

المبحث الثاني: علاقة تصميم الحاويات بموضوع القيمة

إنّ العودة إلى إعادة اكتشاف السّيميوطيقا من أجل إدماجها في الأبحاث التّصميميّة ومنها الأبحاث والدّراسات المتعلّقة بالمجال البيئي، مكّنت من تسجيل ملاحظات ترتبط بتصنيف الموضوعات حسب ما تقدّمه إلى الذّات العامليّة من قيم إيجابيّة خيرات أو خدمات هو في حاجة إليها. وقد آل توظيف مثل هذه الثّوابت الأصليّة في السيميوطيقا إلى نمذجة عامّة للقيم تتفرّع إلى قسمين رئيسيّين: قيم وصفيّة وتتمثّل في الموضوعات القابلة للاستهلاك؛ مثل المواد المصنّعة الخاصّة بالبيئة والشّروط الإيكولوجيّة، الحالات النفسيّة عند وصف تصميم وتصنيفه، والموضوعات القابلة للإبداع عن طريق استخراج التصوّرات الوظيفيّة والجماليّة للتّصميم **"ما بعد الظّهور"**.

والقيم الجيهيّة هي القيم الصيغيّة التي تحدّد علاقة الذّات بالموضوع **"يشكل هذا الزوج أساس النموذج العاملي. بحيث يشكل محور الرغبة (رغبة الذّات في الحصول على موضوع القيمة بعد إقناعها من قبل المرسل (أما الموضوع، فهو المرغوب فيه من قبل الذات".** بوعيطة سعيد2004 وتشترط هذه العلاقة حضور وظيفة الإرادة (أنا أريد أن أحافظ على نظافة الكورنيش مثلا)، ووظيفة الوجوب (يجب أن ألقي الفضلات في المكان المخصّص لها)، ووظيفة القدرة (الاستطاعة) (أن يقدر على الإنجاز والمواطن المؤهّل لهذه الوظيفة)، ووظيفة المعرفة (أن يعرف ماذا يجب أن يفعل وأن يكون مؤهّلا لفعل الإنجاز) بمعنى أنّ القيم الجهيّة أو الصيغيّة هي قيم مقترنة بمجموعة من الأفعال الوسيطة المرتبطة بالإرادة، والوجوب، والقدرة، والمعرفة، التي يسعى الفاعل الإجرائي أو المرشّح من خلالها لأداء برنامج سرديّ قبلي وضعه المرسل/ مصمّم حاويات النّفايا بهدف تمكين المرشّح من امتلاك القيم والإبقاء على ما صلح فيها وإقصاء الغثّ منها. وهنا بالضبط يكون مكمن الدقّة، فامتلاك القيمة والظّفر بها يتطلّب العناء الذي يمكن أن نختزله في رصيد من القيم الجهيّة. وبالتّالي التحوّل من حالة الانفصال إلى حالة الاتّصال أي من حالة اللاّمبالاة، وغضّ الطّرف عن القضيّة (اللاّاستعمال) إلى حالة قضويّة تظهر في تفشي حالات الوعي بأهميّة القضيّة (الاستعمال).

فبالنّسبة للوجود السّيميوطيقي للقيم تتمفصل مجموعة من القيم داخل مقولة دلاليّة (أي القول الدّلالي السّردي الذي ينظمه المصمّم ضمن فضاء دلالي مصغّر) يسعى من خلالها المرسل إلى إقناع المرسل إليه بموضوع القيمة، هذا الوجود السّردي يسمح بوجود **قيم ممكنة** داخل منظومة سوسيو-ثقافيّة يقرّها المرسل (المصمّم) ضمنيّا، أمّا اندماج القيمة هذه القيم داخل الموضوع الذي يتموضع داخل برنامج سردي حقيقي فيحيل إلى وضعيّة محدّدة هي **القيم المحقّقة بالقوة** التي يتأطّر فيها التأهيل ليمرّ إلى فعل الإنجاز الذي ينضوي بدوره

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

تحت منظومة **القيم المحقّقة**. كما تتأطّر **الذات الممكنة** داخل برنامج سردي من جهة الإرادة، وأمّا **الذات المحققة بالقوة** من جهة التّأهيل و**الذات المحققة** من جهة الفعل والإنجاز، إذ تحقق الذات في المرحلة الأخيرة كينونتها حيث يتّصل الموضوع بالقيمة.
ومهما يكن من أمر، فإنّ قضيّة النّظافة الحضريّة بشكل خاصّ في المدن الاسلاميّة يُفترض أن تكون قضيّة عقائديّة، فهي قضيّة إيمان بالفعل واعتقاد فيه، وليس ذلك فحسب بل وإثبات هذا الإيمان بالمثابرة على فعل النّظافة.

في مقابل ذلك، في مدينة سوسة بشكل مخصوص، كنّا قد لاحضنا جيّدا كيف أنّ فعل النّظافة وتوفّر الحاويات والسّلال للنّفايات++ واستثمارها يقترن في كلّ مرّة بشكل مكثّف، ولافت بالأحداث أو بالمناسبات الرسميّة مثل تنصيب كرنفال أوسّوا حدث أكسيولوجي (علم القيم، مبحث القيم، نظريّة القيم) والذي يحدث في الرّابع والعشرون من جويلية من كلّ سنة، لكن وبمجرّد انتهاء هذه المناسبة أو غيرها من المناسبات، ما تفتأ أن تعود الأوضاع إلى سالف عهدها، بل وبشكل أسوأ.

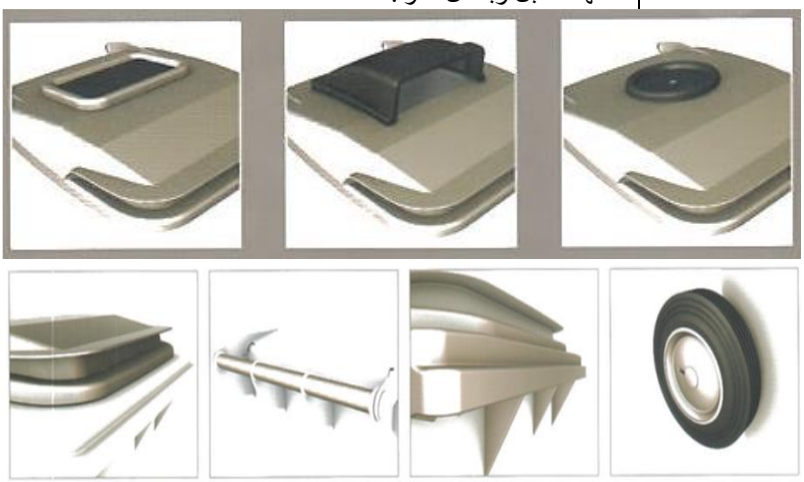

شكل (2) تضطلع بلديّة زاوية سوسة في معتمدية الزاوية القصيبة والثريات بمهمّة اختيار الحاويات المستوردة من أجل تأثيث مركز مدينة سوسة، وقد وقع اختارها على العلامة التّجاريّة« Rheinwerk»

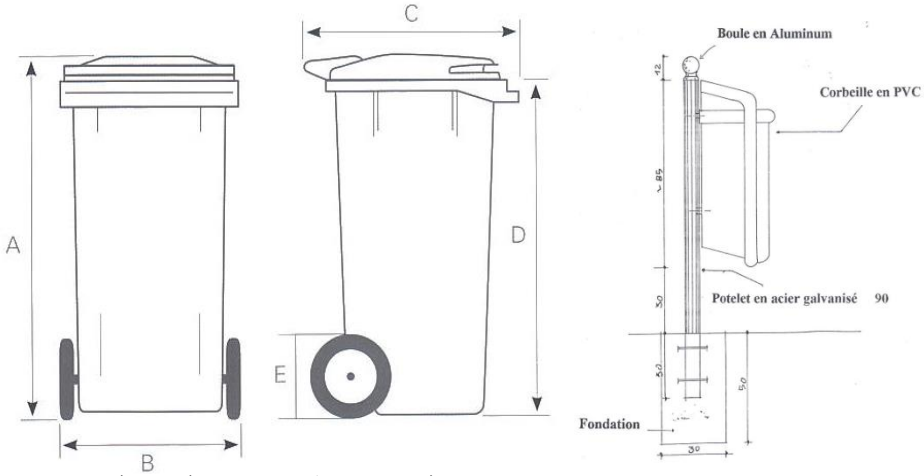

الشكل (3) رسم تقني للحاويات البلاستيكية الموجودة في مركز مدينة سوسة

المبحث الثالث: دلالات المنتوج المصمّم البلاستيكي بين الظاهر والباطن
إن كلمة "البلاستيك" هي الترجمة الحرفية للكلمة الإنجليزية (Plastic)، وهي كلمة يونانية الأصل، حيث تم اشتقاقها من كلمة يونانية تعني: الشيء القابل للتشكيل والصب. والسبب في اشتقاق تسمية البلاستيك يعود إلى خصائص المادّة ذاتها والتي تعني ليونة وسهولة تشكيله، وصبه في القوالب المخصصة لتصنيعه.
أبانت صناعة البلاستيك عن كثب كيف يمكن أن يُختزل أسلوب حياة في سياق سوسيو-اقتصادي بعينه، فقد شكّلت صناعة هذه المادّة علامة فارقة ليس فقط من النّاحية الصناعية بقدر ما كان لها عظيم الأثر من النّاحية الاستهلاكيّة.
يظهر ذلك، من خلال الارتفاع اللّافت على طلب هذه المادّة والإقبال عليها، وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدلّ على مناصرة حدث الاختراع المقترن بتطوّر علم المادّة، والذي بفضل ازدهاره ارتفعت نسب الإنتاجيّة وتصاعدت المردوديّة بمقاييس ضخمة. علاوة على ذلك، فإنّ تحقيق نتائج إيجابيّة لفائدة هذه الصّناعة لهو دليل على دعم خصائص المنتوج ذاته بأبعاده المختلفة.
في هذا السّياق، أتاح اختيار مواد اصطناعيّة خامّ على غاية من المرونة، إنجاز أشكال بارزة، مصقولة، لامتناهية من العروض التي يمكن لها أن تتفاوت من المنحنيات إلى المستقيمات، مع ما يمكن أن تتضمّنه من تشكيلات واسعة من الألوان، ودرجات لامحدودة من المتغيّرات اللّونيّة؛ الأوّليّة، الثّانويّة، الوسطيّة، مع إمكانيّة أن تعكس عناصرها النسيجيّة وتراكيبها البنيويّة (الملمس) إحساسات مرئيّة متعدّدة تظهر في الملامس الخشنة، النّاعمة، المحبّبة، الملساء...، **"أسهم هذا الزّخم التّعييني للمنتوج في نمذجة المادّة البلاستيكيّة، بما أنّ تكوينها يعتمد على متغيّر اتجاه الجاذبيّة وعلى متغيّر اللّيونة"** (Maurice FRÉCHURET, 2004) **., لهذا السّبب وصفها رولان بارت بأنّها "مادّة معدّة لجميع الميزات التّشكيليّة"، فالمادّة البلاستيكيّة من أبلغ المواد وأقدرها على الإحداث الدّلالي** (Roland BARTHES, 1957) "، فرغم عمر المادّة المتواضع (الذي لم يتجاوز 126 سنة)، فإنّنا نستهلك البلاستيك منذ تلك الفترة. إنّ هذا الحدث التّاريخي القادح الذي كان شاهدا على ولادة المواد

الاصطناعيّة على يد البلغاريّين، غيّر بدوره مجرى تاريخ الأثاث بصفة عامّة وتاريخ "الأثاث الشّارع" بصفة خاصّة، وفي أغلب الأحيان وعلى امتداد القرن العشرين المنصرم، كانت المادّة خادمة للتّاريخ، أمّا في عصرنا المعولم، أصبح التّاريخ خادما للمادّة، فقد سيطرت المادّة نفسها على التّاريخ وتمكّنت منه، ففي **عصرنا "ثمّة استخدام آخر للتّاريخ إنه التقويض الدّائم لتطابقاتنا، ذلك لأن هذا التطابق الوهن بالرغم من كل شيء، والذي نحاول أن نؤمن عليه، ونحفظه خلف قناع، ليس إلا اقتعالا: فالتعدد يقطنه، ونفوس عدة تتنازع داخله والانظمة تتعارض ويقهر بعضها بعضاً"** نور الدّين محمود سعيد2012 بعبارة ميشال فوكو.

هذه المادّة التي فرضت نفسها على مجتمعاتنا بفعل ما فرضته العولمة التي جلبتها معها، تدخل مفاصل العلامة السّيميائيّة، تتحرّك وتفيض بالمعاني، التي تدعونا إلى تفصيص دلالاتها، وتفكيك شفراتها، وحيث سمّاها بارت بأنّها **"المادّة المعجزة، والمعنى الإعجازي هنا يكون عمليّة تحويليّة مباغتة للطّبيعة"**.

لقد أسهب بارت في تمجيد الحدث الصّناعي للمادّة البلاستيكيّة وأثر قيمها الاستهلاكيّة على المجتمع متهكّما بذلك على هذا العصر الذي اعتبره كمين الأسطورة أو للأسطورة المفخّخة كما يحلو لنا تسميتها. على هذا الاعتبار، وجّه بارت بسهامه النقديّة نحو المنتجات البلاستيكيّة وعن **"الصّورة الذهنيّة للبلاستيك التي بدأت تظهر في الخمسينات"**، إذ يفضح بارت فكرة العالم وممارساته وغيرها من الموضوعات الأسطوريّة، وفي هذه الشّأن علّق فرج سمير بأسلوبه واصفا المادّة البلاستيكية والتي ترجمت عن كتابات المؤلّف جوناثان كولر حول رولان بارت ومحاضراته قائلا: **"وبعد إبراز المعاني التي يُنظر إليها كبديهيّات، وتضخيمها بطريقة ساخرة أو تأمّل معانيه الضمنيّة، يختتم بارت مقالاته بخلاصة موجزة، تنتشلنا من براثن الأسطورة عبر الإشارة إلى المصالح السياسيّة أو الاقتصاديّة التي تقف وراءها"** جوناثان كولر، **رولان بارت**.2016 وفضح شفراتها المتمثّلة في: الأضرار البيئيّة؛ والتلوّث الهوائي، والتلوّث الأرضي وتضرّر التّربة النّاتج عن إتلاف نفايات البلاستيك حرقا وتلوّث البحار." شركات الحاسبات المصريّة 2019

تحليل النتائج وتفسيرها:

لقد قمنا بحلّ التوتّر القائم بين حالات التّصاميم، وحالات الأنفس البشريّة (من خلال استنادنا إلى مجموعة هامّة من نتائج الاستبيان) حيث تناولنا قوّة ومدى انسجام الانفعالات الانسانيّة مع البيانات المعرفيّة، والذي على أساسه تحدّدت العلامة السّيميوطيقيّة، ففكّكنا تمفصلاتها القائمة بين ماهو معرفي وبين ماهو شعوري، وبين ماهو ظاهري وبين ماهو باطني، وذلك وفق ما نصّت عليه العلامة السّيميوطيقيّة، ثمّ قمنا بوصل تلك التمفصلات واستخلاصها بما يتناغم مع مقتضيات التّصميم المستقبلي للحاويات للنّفايا. كما وقفنا في ورقتنا هذه على بعض ممارسات التصميم الحضري وأحطنا ببعض جوانبه الدلاليّة. ومن هذه الزّاوية، فتحنا المجال لتكون دراستنا هذه نقطة الأساس للبدء في بحوث أخرى سيميوطيقيّة تطبيقيّة.

الخاتمة:

من هذا الزّاوية، فإنّ فهم دلالات التّصاميم واستيعابها استيعابا جيّدا لا يكون إلاّ براجماتيّا، حيث يستطيع من خلاله الملاحظ عن كثب إعادة تبليغ المحتوى الصّائب للتّصميم والتصوّر السّليم أي انطلاقا من الكيفيّات التي تُمارس بها. ويتضمّن سياق الممارسة أو مشهد الممارسة التّجربة الممكنة لإثبات قدرة المادّة على تحفيز الأفعال وتحقيقها للكينونة من خلال نشاطهما الحيّ والمعاش الذي يفسح مجالات واسعة لتسليط الأضواء على الخطاطات أو التّبيانات (schématisations) السيميوطيقيّة لدخول حيّز النّفاذ إلى المخطّطات المحايثة ل"أنساق الممارسات أو لمشاهد الممارسات. ولكن، إذا ما أقررنا أن للمصمم الباحث وصاية يمارسها على المهنيّين، وصاية تعليمية، وصاية قيميّة، وصاية منهجيّة، أو حتّى وصاية أخلاقيّة، فهذا لا يعني مطلقا أن تعمم الوصاية بشكل جاهز، بل نقصد أن تُنفّذ وتطبّق استراتيجيّا وإجرائيّا وبكيفيّة مقنّنة، بما يتناسب مع الوضعيّة السّياقيّة والاجتماعيّة. وعليه، فإنّ الاقتداء بخطاطات قياسيّة كالتي تتماثل مع خطاطة المبيان التوتّري لا يجب أن يكون نقلا لنتائج بحذافيرها، بقدر ما يتطلّب الأمر أخذ الأسباب بمتغيّراتها الثقافيّة والاجتماعيّة والجماليّة في كلّ مرّة أردنا فيها تصميما للفضاء الحضري ولوحداته، ونعني هنا وجوب حضور القدرة على الابتكار التّفكيري، والابتعاد قدر الإمكان عن النّقل، والنّسخ، والتّقليد، والإتيان بالقوالب الفكريّة الجاهزة مسبقا لأنّ اتّباع مثل هذه المسارات الخاطئ سيجعلنا حيال مآزق ومشاكل أخرى. والسّبب في ذلك يعود إلى أنّ الموضوعة في بيئتها تتجدّد وتتولد في كل مرة بفعل الممارسة، وبفعل إسقاط إدراكات ذاتيّة وموضوعيّة.

المراجع References

المراجع:

1. بوعيطة سعيد، "المرجعيّة المعرفيّة للسّيمائيّات السرديّة- جريماص، نموذجا"، مجلّة سيمات، (المجلّد 1، العدد 1، 23 فيفري 2013)، ص.
2. جوناثان كولر، رولان بارت مقدّمة قصيرة جدّا، (ترجمة سامح سمير فرج)، (مؤسّسة هنداوي للتّعليم والثّقافة، القاهرة- مصر، 2016)، الطّبعة 1، ص.33، 34.
3. نور الدّين محمود سعيد، المغزى الثالث ومقالات أخرى - رولان بارت، الأحد 9 ديسمبر 2012: Retrieved from: http://www.diwanalarab.com/
4. شركات الحاسبات المصريّة، البلاستيك في حياتنا...آفاق وتحدّيات، فيودو، 2019:
5. https://www.feedo.net/ScienceAndTechnology/Technology/EssentialTechnology/PlasticInOurLife.htm
6. Maurice FRÉCHURET, Le Mou et ses formes. Essai sur quelques catégories de la sculpture du vingtième siècle, (Nîmes, Roland BARTHES, Mythologies, (Le Seuil, Paris, 1957), p. p. 159–161.

الاستبيان

1) كيف تقيّم سلوك المواطن التّونسي في الفضاءات العامّة بمدينة سوسة؟
   - حضاري جدّا ❑
   - حضاري ❑
   - حضاري قليلا ❑
   - غير حضاري ❑
2) هل تعتبر الفضاءات العمومية بمدينة سوسة فضاءات نظيفة؟
   - نعم ❑ لا ❑
3) هل تعتبر أنّ حاجتك لاستعمال حاويات المهملات (سلال القمامة) هي حاجة؟
   - ثانويّة ❑ رئيسيّة ❑

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

4) هل سبق أن اضطررت لإلقاء الفضلات أو بقايا المهملات المستهلكة في الشّارع؟
نعم ❑ لا ❑

5) إذا كانت الإجابة ب "نعم" فحدّد كم مرّة وجدت فيها نفسك مجبرا على القاء الفضلات ثمّ اكتب عدد هذه الكرّات داخل الفراغ الموجود بين (...) قوسين؟
مرّة في اليوم ❑ أكثر من مرّة في اليوم (....) ❑
مرّة في الأسبوع ❑ أكثر من مرّة في الأسبوع (....) ❑
مرّة في الشّهر ❑ أكثر من مرّة في الشهر (....) ❑
مرّة في السّنة ❑ أكثر من مرّة في السّنة (....) ❑

6) هل يعتبر الإنفاق على المواد لتصميم الحاويات عاملا مؤثّرا على تحفيز الإدراك (المخّ والأعصاب) والفعل على النّظافة؟
نعم ❑ لا ❑

7) من وجهة نظرك كمصمّم، أيّا من هذه المواد أقلّ قيمة؟
مادّة البلاستيك ❑
مادّة الحديد المقاومة للصّدأ ❑
مادّة الفولاذ ❑

8) ثمّ رتّبها من الأقلّ إلى الأرفع؟ ❑
مادّة البلاستيك ❑
مادّة الحديد المقاومة للصّدأ ❑
مادّة الفولاذ ❑

9) امنح درجة لكلّ مادّة من المواد الآتية، وحدّد درجة تحفيزك للفعل:

المواد المقترحة للتّصميم	**تأثير المادّة على تحفيز الفعل**				
	ضعيف جدّا	**ضعيف**	**معتدل**	**قويّ**	**قويّ جدّا**
المادّة البلاستيكيّة					
المادّة الحديديّة المقاومة للصّدأ					
المادّة الفولاذيّة					

10) هل تعتبر قلّة توفّر حاويات المهملات أو عدم توفّرها في بعض الفضاءات سببا يبرّر سلوك البعض لإلقاء المهملات على أرضيّة الأرصفة والسّاحات؟
نعم ❑ لا ❑

11) هل يبدوا لك اختيار القمامات باللّون البرتقالي في ساحة يحي ابن عمر؟
مناسب جدّا ❑
مناسب ❑
مناسب قليلا ❑
غير مناسب ❑

12) هل يعد وضع الحاويات البرتقاليّة مائلة على جذع شجرة الفيكوس بساحة يحي ابن عمر بسوسة؟
خطرا على سلامة المارّة ❑
تلوّثا بصريّا ❑
مساسا بصورة المدينة ورمزيّتها ❑
انتقاصا من كفاءات المشرفين ❑
حجّة على عدم الاعتناء بنظافة السّاحة ❑